ظاهرة « القطع » في العربية

الدكتور فاضل صالح السامرائي

استاذ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

في العربية ظاهرة جديرة بالالتفات اليها وهي ظاهرة (القطع) ونعني بها مغايرة النعت للمنعوت في الاعراب وذلك بأن يكون المنعوت مرفوعا ونعته منصوبا وقد يكون المنعوت منصوبا ونعته مرفوعا وقد يكون مجرورا فيقع نعته مرفوعا أو منصوبا نحو (مررت بمحمد الكريمُ أو الكريمَ) ·

ويقع القطع في النعت كثيرا وقد يقع أيضا في العطف نحو قوله تعالى « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء ـ البقرة ١٧٧ » فعطف بالنصب على المرفوع ومثله قوله تعالى « والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ـ النساء ١٦٢ » فعطف بالنصب على المرفوع ·

وقد اختفت هذه الظاهرة من التعبير منذ زمن بعيد ·

ويستعمل القطع لأداء معنى لا يتم بالاتباع فهو يلفت نظر السامع الى النعت المقطوع ويثير انتباهه وليس كذلك الاتباع وذلك ان الاصل في النعت أن يتبع المنعوت فاذا خالفت بينهما نبهت الذهن وحركته الى شيء غير معتاد فهو كاللافتة أو المصباح الأحمر في الطريق يثير انتباهك ويدعوك الى التعرف على سبب وضعه ·

فهذا التعبير يراد به لفت النظر واثارة الانتباه على الصفة المقطوعة وهو يدل على ان اتصاف الموصوف بهذه الصفة بلغ حداً يثير الانتباه ·

جاء في (حاشية يس على التصريح) : « قال السعد في حواشي

الكشاف : فان قلت : ما وجه دلالة مثل هذا النصب أو الرفع على ما يقصد به من مدح أو ذم أو ترحم ؟

قلت : ان في الافتنان لمخالفة الاعراب وغير المألوف زيادة تنبيه وايقاظ للسامع وتحريك من رغبته في الاستماع سيما مع التزام حذف الفعل أو المبتدأ فانه أدل دليل على الاهتمام »(١) .

وجاء في (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) في قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) : « قال أبو علي : اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ... الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تعبير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سنن السلوك ينبىء عن اهتمام جديد شأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب »(٢) .

وجاء في (معترك الاقران) : « قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها . قال الفارسي : اذا تكررت صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن ان يخالف في اعرابها لأن المقام يقتضي الاطناب ، فاذا خولف في الاعراب كان المقصود أكمل لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا »(٣) .

وذكر الفراء أن العرب تقصد بمخالفة الصفة للموصوف في الحركة أن تجدد له وصفا جديدا غير متبع لأوله . جاء في (معاني القرآن) : « والعرب تعترض من صفات الواحد اذا تطاولت بالمدح أو الذم فيرفعون

---

(١) حاشية يس على التصريح ١١٧/٢ .
(٢) ارشاد العقل السليم .
(٣) معترك الاقران ٣٥٤/١ وانظر التفسير الكبير للرازي ٤٩/٥ ، البرهان ٤٤٦/٢ .

اذا كان الاسم رفعا وينصبون بعض المدح فكأنهم ينوون اخراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام ...

وقال بعض الشعراء :

الى الملك القرم وابن الهمام
وليثَ الكتيبـــة في المزدحـــم

وذا الرأي حين تغـم الامور
بذات الصـــليل وذات اللجـم

فنصب (ليث الكتيبة) و (ذا الرأي) على المـــدح والاسـم قبلهمـــا مخفوض »(٤) .

هـــذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى انك اذا قطعت فانك تعني أن المخاطب يعلم من اتصاف الموصوف بهذه الصفة ما يعلمه المتكلم فان القطع يدل على أن الموصوف مشتهر بهذه الصفة معلوم بها عند السامع كما عند المتكلم ولست تريد أن تعلمه بها . فاذا قلت (مررت بمحمد الكريمَ) كان المعنى : مررت بمحمـد المعروف بالكـرم المشتهر به بخلاف قولك (مررت بمحمد الكريمِ) فانك قد تريد بذلك ان تميزه عن غيره وتبينه به . فالقطع لا يكون الا اذا كان الموصوف مشتهرا بالصفة معلوما بهـا حقيقة أو ادّعاء أي تدعي أنه مشهور بهذه الصفة فاذا مدحته بالقطع ادّعيت انه معروف بهذه الصفة مشتهر بها فيكون أمدح له . واذا ذممته كنت ادّعيت انه مشهور بهذه الخصلة الذميمة معلوم بهـا ، فانك اذا قلت (مررت بخـالد الدنيءَ) لم ترد أن تعلـم المخاطب بأن خالدا دنيء لأن المخاطب لا يجهل ذلك وانما اردت ذكره بأمر يعلمه كل أحد فيكون أهجى

---

(٤) معاني القرآن ١/١٠٥ .

له واذم ، قال تعالى « وامرأته حمالة الحطب ـ المسد ٤ » فنصب لأنه لم يرد أن يخبر بأمر مجهول وانما ذكرها بأمر مشهور يعرفه كل أحد اضافة الى الذم بصيغة المبالغة فهو ذمها بصيغة المبالغة أولا ثم بالقطع بأن جعل هذا أمراً معلوما لا يخفى على أحد ٠

ولهذا اذا كانت الصفة لقصد التوضيح والتبيين وتمييز الموصوف من غيره لا يصح قطعها « اذ لا قطع مع الحاجة » فالموصوف اذا احتاج الى مائة صفة ليتميز من غيره لم يصح قطع واحدة منها ٠ قال ابن مالك :

وان نعوت كثرت وقد تلت
مفتقراً لذكرهن أتبعت

وذلك كأن تقول (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب) فانك اذا أردت أن تميزه من ثلاثة آخرين كل واحد اسمه محمد أحدهم تاجر شاعر والثاني تاجر كاتب والثالث شاعر كاتب كان عليك أن تميز الآخر منهم بقولك (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب) فانك اذا حذفت اية صفة التبس بمحمد آخر ، ففي نحو هذا لا يجوز القطع لأن هذه الصفات لقصد تمييزه من غيره ٠ فان كانت له صفة أخرى مشهورا بها معلومة للمخاطبين كأن يكون فقيها جاز لك القطع على قصد أنه معلوم بها فتقول (مررت بمحمد التاجر الشاعر الكاتب الفقيه) فتتبع النعوت الاولى وجوبا ويجوز في النعت الآخر القطع ٠ جاء في (التصريح) : « وان لم يعرف مسمى المنعوت الا بمجموعها وجب اتباعها كلها للمنعوت لتنزيلها منزلة الشيء الواحد واليه اشار الناظم بقوله :

وان نعوت كثرت وقد تلت
مفتقراً لذكرهن أتبعت

وذلك كقولهم (مررت بزيد التاجر الفقيه الكاتب) اذا كان زيد هذا

الموصوف بهذه الصفات يشاركه في اسمه ثلاثة من الناس اسم كل واحد منهم زيد وأحدهم تاجر كاتب والآخر تاجر فقيه والآخر فقيه كاتب فلا يتعين زيد الأول من الأخيرين الا بالنعوت الثلاثة فيجب اتباعها كلها .

وان تعين ببعضها جاز فيما عدا ذلك البعض الذي تعين به الأوجه الثلاثة الاتباع والقطع الى الرفع أو الى النصب أو الجمع بينهما بشرط تقديم المتبع على الأصح .

واذا كان المنعوت نكرة تعين في الأول من نعوته الاتباع لأجل التخصيص بخلاف ما اذا كان معرفة فانه غني عن التخصيص وجاز في الباقي من نعوته القطع عن المتبوع »(٥) .

فالقطع انما يكون للدلالة على ان الموصوف مشهور بالصفة المقطوعة جاء في (شرح الرضي على الكافية) : « اعلم ان جواز القطع مشروط بأن لا يكون النعت للتأكيد نحو امس الدابر ...

والشرط الآخر ان يعلم السامع من اتصاف المنعوت بذلك النعت ما يعلمه المتكلم لأنه ان لم يعلم فالمنعوت محتاج الى ذلك النعت ليبينه ويميزه ولا قطع مع الحاجة وكذا اذا وصفت الموصوف بوصف لا يعرفه المخاطب لكن ذلك الوصف يستلزم وصفا آخر فلك القطع في ذلك الثاني اللازم نحو (مررت بالرجل العالم المبجل) فان العلم في الأغلب مستلزم للتبجيل »(٦) .

وجاء في (التصريح) : « اذا لم تتكرر النعوت وكان المنعوت معلوما بدون النعت حقيقة أو ادعاء جاز اتباعه وقطعه ما لم يكن لمجرد التوكيد نحو (نفخة واحدة) أو ملتزم الذكر نحو جاؤا الجماء الغفير أو جارياً على

---

(٥) التصريح ١١٧/٢ وانظر الاشموني ٦٨/٣ ، الهمع ١١٩/٢ .
(٦) الرضي ٣٤٦/١ .

مشار اليه نحو بهذا الرجل »(٧) .

وجاء في (شرح قطر الندى) : « ويجوز قطع الصفة المعلوم موصوفها حقيقة أو ادعاء رفعا بتقدير هو ونصبا بتقدير أعني او أمدح او أذم او أرحم »(٨) .

وجاء في (الكامل) : « اذا قال (جاءني عبدالله الفاسقَ الخبيثَ) فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعني وما اشبهه من الافعال نحو (اذكر) وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح »(٩) .

وجاء في (الكتاب) : « (هذا باب ما ينتصب في التعظيم والمدح) وان شئت جعلته صفة فجرى على الأول وان شئت قطعته فابتدأته وذلك قولك (الحمد لله الحميدَ) هو والحمد لله اهلَ الحمد والملك له اهلَ الملك ولو ابتدأته فرفعته حسنا كما قال الاخطل :

نفسي فداء امير المؤمنين اذا
ابدى النواجذ يوم باسل ذكر

الخائضُ الغمر والميمونُ طائره
خليفةُ الله يستسقى به المطر

زعم الخليل ان نصب هذا على انك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطبه بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال : اذكر أهل ذاك واذكر المقيمين ولكنه

---

(٧) التصريح ١١٦/٢ .
(٨) شرح قطر الندى ٢٨٨ وانظر الكليات لأبي البقاء ٢٢٠ .
(٩) الكامل ٧٤٨/٢ .

فعل لا يستعمل اظهاره وهذا شبيه بقوله (انا بني فلان نفعل كذا) لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري انـــه من بني فلان ولكنه ذكر ذلك افتخارا وابتهاء »(١٠) .

وجاء فيه أيضا : « (هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما اشبهه) وذلك قولك اتاني زيد الفاسقَ الخبيثَ لم يرد أن يكرره ولا يعرّفك شيئا تنكره ولكنه شتمه بذلك ... وقال عروة الصعاليك :

سقوني الخمر ثم تكنفوني
عداةَ الله من كذب وزور

انما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين ... وقد يجوز مررت بقومك الكرامَ اذا جعلت المخاطب كأنه قد عرفهم »(١١) .

وجاء في (شرح السيرافي) بهامش الكتاب : « قال ابو سعيد : يحتاج التعظيم الى اجتماع معنيين في المعظم :

احدهما ان يكون الذي عظم به فيه مدح وثناء ورفعة .

والآخر أن يكون المعظم قد عرفه المخاطب وشهره عنده بما عظم أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به المخاطب حال مدح وتشريف في المذكور يصح ان يورد بعدها التعظيم »(١٢) .

فهذه حقيقة القطع وغرضه .

ثم انه يقطع مع المرفوع الى النصب ومع المنصوب الى الرفع ومع المجرور الى الرفع أو النصب فتقول (مررت بخالد العظيمَ أو العظيمُ)

---

(١٠) سيبويه ١/٢٤٨ ـ ٢٥٠ .
(١١) سيبويه ١/٢٥٢ .
(١٢) شرح السيرافي ١/٢٥٢ .

ويبدو أن القطع الى الرفع أثبت وأشهر وذلك لأنه في النصب بتقدير جملة فعلية نحو (أعني العظيم أو أمدح) وفي الرفع بتقدير اسم أي هو العظيم ·

والاسم أثبت واقوى وأدوم من الفعل كما هو معلوم فقولك (هو متعلم) اثبت واقوى من (هو يتعلم) و (هو مطلع) اثبت واقوى من (هو يطّلع) ومنه قوله تعالى « هل اتاك حديث ضيق ابراهيم المكرمين · اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام ـ الذاريات ٢٣ ، ٢٤ » فهم حيوه بالنصب وحياهم بالرفع فرد التحية عليهم بخير منها ذلك لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد والاسم يدل على الثبات كما ذكرنا وهم حيّوه بالجملة الفعلية ذلك لان النصب على تقدير فعل وهو حياهم بالجملة الاسمية(١٣) ·

فقولك (مررت بمحمد العظيمِ) بالاتباع قد يراد منه تمييزه من غيره الذي هو حقير أو يراد مدحه بهذه الصفة ·

وقولك (مررت بمحمد العظيمَ) بالنصب تريد تنبيه السامع على هذه الصفة كما تعني أن محمداً مشهور بهذه الصفة معلوم بها للمخاطب يعلمه كل أحد ·

وقولك (مررت بمحمد العظيمُ) بالرفع يدل على ان محمداً معلوم اتصافه بهذه الصفة مشهور بها غير أن اتصافه بهذه الصفة واستقرارها ورسوخها فيه وتمكنها منه أكثر وأشد مما قبلها ·

وورد القطع في العطف أيضا للدلالة على أهمية المقطوع من بين المعطوفات جاء في (الكشاف) في قوله تعالى : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء ـ البقرة ١٧٧ » : « وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن

---

(١٣) ينظر تفسير الرازي ٢١٢/٢٨ ، الكشاف ٣٨/١ ـ ٣٩ ، ١٦٩/٣ ·

القتال على سائر الاعمال »(١٤) .

وجاء في (شرح شذور الذهب) في قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة ـ النساء ١٦٢ » : « ان المقيمين نصب على المدح وتقديره : وأمدح المقيمين . وهو قول سيبويه والمحققين وانما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها »(١٥) .

---

(١٤) الكشاف ١/٢٥٢ .

(١٥) شرح شذور الذهب ٥٤ وانظر الكشاف ١/٤٣٨ .

مراجع البحث

- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد العمادي ـ مخطوطة بمكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٢١٠٣ ·
- البرهان في علوم القرآن ـ لبدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ط١/١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م دار احياء الكتب العربية ·
- التفسير الكبير لفخرالدين الرازي ـ المطبعة البهية ـ مصر ·
- حاشية على شرح التصريح للشيخ يس بن زين‌الدين العليمي الحمصي طبعت مع شرح التصريح ·
- شرح الاشموني على الفية ابن مالك ـ دار احياء الكتب العربية ·
- شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبدالله الازهري ـ دار احياء الكتب العربية ·
- شرح رضي‌الدين الاسترابادي على الكافية لابن الحاجب ·
- شرح السيرافي على كتاب سيبويه مطبوع بهامش الكتاب ·
- شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ·
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الانصاري ـ تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ط ٩ سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م ·
- الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق الدكتور زكي مبارك ط١/١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ·
- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق ـ نشر مكتبة المثنى ببغداد ·
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ لجارالله الزمخشري مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م ·

ـــ الكليات لأبي البقاء الحسيني الكفوي طبعة بولاق ط ٢ ٠
ـــ معاني القرآن لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء ـ مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ٠
ـــ معترك الاقران في اعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد علي البجاوي ٠ دار الثقافة العربية للطباعة ٠
ـــ همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ط ١ سنة ١٣٢٧هـ مطبعة السعادة بمصر ٠